

ناصر قنديل

حديث الجمعة هذا الأسبوع بين سنتين يتزامن فيه عيد الميلاد وعيد المولد النبوي الشريف ففيه مكان للمعايدات، وفيه حزن لرحيل زعيم دولة الكرامة، العمر الكرامي، ويبقى لقاتل له مكان، وللصباحات عن ثلاثة أسابيع.

صباحات

صباحات بين سنتين

بين الصباح والليل

2014/12/19

بينما الصباح يعانق الليل مودعاً، قال له: بأمان الله يا صاحب الغخامة أيها الليل الطيب، كم أحببت لو كان جمعنا ممكن... فقال الليل: ولماذا الغخامة؟ قال الصباح: لأنها تليق بك، ولأن أسوأ ما تفعل أن ننزع صفات المودة عنّ من حينٍ عندما نغضب، فخشيت من نفسي أن أفعل هذا لأني غاضب منك. فقد أدمنت أنت على التعالي العيب والاستهتار حتى أشعرتني أنني إحدى العابك التي تكسرها متى غضبت، وما أنا أقول لك سنتليق إنما بلغة جديدة.

قال الليل للصباح: أنت غاضب لأنني رافقت نجمة إلى فندق الجليل في فصول التعرّف. لو فعلت ودعوتني كان أفضل. قال الصباح: أنا غاضب لأنك تضعني في مقارنات الأستاذ تلامذته يساويهم متى شاء ويميّز بينهم متى شاء، وتنتسى أن الكون ولد صباحياً، وجاء ليلاه للراحة. فالعقل صباح والمقلب ليل، والشجاعة صباح والليل لإخفاء تسلل الخائفين من أنفسهم والمترددّين، والصباح أستاذ تنازل عن كرسي الأستاذ وجلس في مقاعد الصف تكريماً لسواد عينيك، فصرت تعطيه العلامات. فكن أستاذاً على من تليق بهم صفوفك، ودع الصباح ينيك الدروب المعتمة، ولا تضع بضوئه لأنه كشف لك حقائق لا تحبها أو يزعجك اكتشافها... كم أنت عبثي أيها الليل. وكما جميل عينك أحياناً... فلن أجادرك ولن أدعك تغادر، قدرنا أن نكون معاً، لكنتك ليل وأنا صباح، فخذ عطر وردني وسر حيث أنت في طريق الفرح، وستجدي عند كل مفارق التعب أقدم لك كوباً من الندى بفتحة كفي.

بالنيابة يستشهدن وبالأصالة لهنّ الصباح

2014/12/20

قيل منتصف الليل، يبدأ الصباح بتجميع حزم الضوء ليصير صباحاً. وقيل منتصف الليل، يستجمع الورد حببات الندى لتتكوّن لسع نخل في الأجساد. وقيل منتصف الليل، تتشكل نواة حبات الكفاة في دير الزور.

قيل قبيل منتصف الليل، كان جنيد أحمد خيال مدفعية دير الزور يستجمع بطولات الشهداء ليصير شهيداً، ويرتقي من رتبة رائد إلى رتبة شهيد حيث الشهادة لا تراتبية فيها. فيصير الإمام الحسين والحاج

عبد منصف الليل، تجيئ رؤيا الموت والدم، فتراها الأم والأخت، لكن الياسمين يزهر في عيون الشهداء، ويوح أنفاسهم يصير طيباً وفرح عطر لا ينقطع بانقطاع النفس.

تجتهد الأم والأخت والزوجة من يواسي من. ويجهتد الأب والشقيق في تنفيذ زغردن، مُنِعَ عليكَ البكاء... وزميلتنا الدكتورة رافات شقيقة الشهيد تقول: جحلت من نفسي أن أميّز

بينه وبين الشهداء الذين يرتقي من بينهم كل يوم أبطال. تخرج الأمهات فتتعلم دروساً في الوطن. فهل أقول استشهد أخي وكل الشهداء أختوتي، أو أقول أريدكم معي وأنا انتدبت نفسي لتدريب الأُسرى على كيفية التعامل مع نينا استشهاده عزيز كالدرس الأول في علم نفس تلقى الصدمات.

الصباح كان حزينا يوماً منذ أسبوعين، ولم نعلم إلا أمس، لأنّ سورية تُجرب التعريف عن شهدائها كحزن ومأساة، ولأنه مصدر فخر، يجب أن تعرف وجدك وتبارك، ساتات الصباح هل تعرف الشهيد؟ فقال إن رسائل دير الزور التي كانت تصلك إلى برنامج «ستون دقيقة» الذي أنمته حمية دير الزور ومطارها على متابعتها، كان يرسلها الشهيد بالنيابة عن زملائه.

تذكّرتّه وتذكّرت شقيقته الزميلية الغالية الكنتورة رافات، لكنني تذكّرت أنّه بالنيابة عن زملائه راسلني وبالنيابة عن زملائه استشهد... صباح الخير لكم أيّها الشهداء.

صباح الخير لأمهات وأخوات وزوجات تليق بهنّ الشهادة. فستشهد الأم شهادة ابنا كي لا يقال إن شمة مراتب بالقربى بين الشهداء والناس، أو في ما بين الشهداء أنفسهم. فكل الشهداء أخوة وكل الشهداء أختوتي وكل الشهداء بالنيابة عن زملائهم يستشهدون، وكل الناس زملاؤهم، بالنيابة عنهم يستشهدون... لهم تحية الصباح.

صباح الخير لضوء الشام

2014/12/22

الصباح قوة والليل ضعف، لذلك نادراً ما نفعل أشياء في الصباح نندم عليها في الليل. بينما يحدث العكس كثيراً، فالعامة تساعداً في تزيين الخطأ بذريعة أن أحداً لا يرانا، ولو كان الناس من حولنا. بينما يشعرنا الضوء أن الكون كله يرانا وهذا يعني أن رادع الخطأ الكبير فينا هو المجتمع لا دواخلنا. لذلك تبني المجتمعات سلام قيم يبنى أسوأها وأشدّها تحلفاً أكثر إنسانية من انفلات البشر على غرائزهم وحيوانيتهم ووحشيتهم التي لما أتج لها، أنتجت مقلّة قبايل وهابيل... تستقط «ملكة داعش» عندما يقتل كل منا «داعشاً» صغيراً داخله.

الصباح المسرع نحو رابعة النهار لا يهمل المستحقين استكمال طقوس الكسل الجميل، ولا يحسب الثامنين في دفتر ديونه. فهو يمضي وعلينا للبهات لأنه وحده واثن من عودته غداً، فمن منا يثق مثله؟ والليل يمضي متأثلاً وحسب الثامنين ضيوفه والمستحقين أعياء على سكونه، ويتردّد في سعيه لملاقاة خيوط الضوء الصباحية لا يدرك أنه لما بدأ قبل ليله، لم يكن ليلاً، بل انطفاء بعض الضوء المتعاطف تدريجياً حتى صارت العتمة. فواثق هو أنه عاكف كتنقيض الضوء لا بذاته، بل بعودته بمقدار انتظاره الضوء وبدء تلاشيه. الحياة ضوء والموت عتمة. والناس لهاث لا ينقطع. تتشققا هواءكم البارد صباحاً مع رشقة قهوة ونسمة ياسمين. صباح الخير لضوء الشام.

صباح تونس مشموم ياسمين أصله الشام، وملكته اليسار وكل عود إلى أصله يعود. عطر تونس باستراد ما زُرّوه في عباة الإسلام يزهر سفيراً قريباً في الشام، وتسقط عباة سلطان بني عثمان بانتظار أن تصحو لعروبته وتنفض عتاف.

صباح الحب والمحبة

2014/12/23

صباح شوق وقلق قلبت، فقال الصباح: إن أحببتك قادمون وأنت غائب. فقلت: كيف عرفت؟ قال: إنهم تحت جناحي. فقلت: كن حنوناً أيها الصباح وورّع بعض الفرح والضوء على شفاؤ وعيون أحبباً وانتظر لقاءها. واستعمل حبك ليطابق وقت الوصول.

قال الصباح: إن القلق غير الخوف، والقلق غير الشوق. فقلت للقلق والخوف أعرفه، فالخوف وراء تهيئ الإقدام بينما خلف القلق انتظار. أما الفرق بين القلق والشوق فما هو؟ فقال الصباح أنا أفتقد الليل كل يوم ولا اشتاق إليه. فقلت: أنت تخفي حبك لليل بمكابرة التمييز بين الحب والمحبة.

تتقدم الساعة بدقائقها ثقيلة قبل شعاع الضوء الأول، وتتساق كنهز دافق في ما تبقى، حتى تضيق حسابات الانتظارات كحبة الغالكة الأولى في الموسم. يبقى ظل الضوء الأول كالقبيلة الأولى.

صباحكم ضوء ووفاء

2014/12/24

قال الصباح لصباح آخر من قبل أيام: هل رأيت هذه الجميلة المنمكة كيف هي معي ومعك، فقد كانت. مثل اليوم منمكة. يوم كنت أراقبها تنتظر يفارغ الصبر حلول موعد، وتبذل من ثيابها ألواناً وأشكالاً، وقلوبها يخفق لثراه. كما توقعت شباباً وظرفاً وجمالاً وهل تراها اليوم أشدّ انهماكاً.

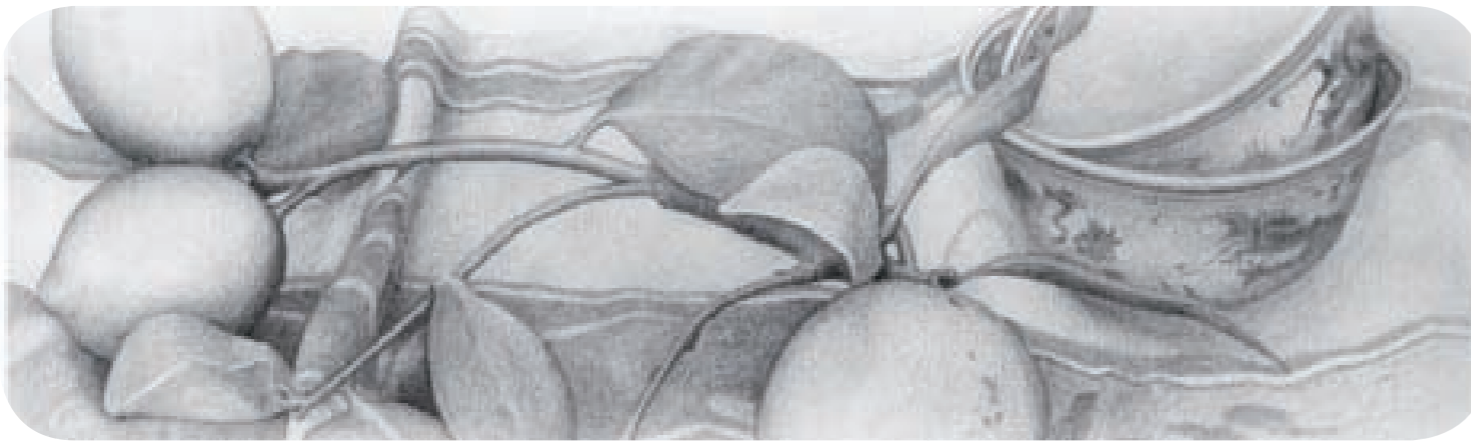
فقال الصباح لزميله المرتحل: اليوم خفف القلب بفرح وقلق كيوم امتحان ونيل شهادة جدارة، وتوردّ وجنتين كمعد غرام، وليباس أنيق كمرس أمير. وتعرف ما تريد فلا ارتياك في الاختيارات ولا الألوان، إذ أذاعت لصباحها كل شيء.

فقال الصباح المرتحل: تبقى الابتسامة التي قفلتها من شفتيها يومذاك، ربما لن تجد مثلها أنت اليوم. فقال صباح اليوم: في نهاية النهار تقارن الابتسامات لا في بداياتها، فلنك حلم شغف، وليست الاحلام لتلافي خيال

البناء

حديث الجمعة

5



لا دولة للكرامة



لا دولة للكرامة من بعدك أيها المُعمر
تفتقد الكرسي سليماً لا عزا ولا
شهامة
ظلم ولا ظلمة غابت شمسها والقمع
لا تصبح ولا تمسي من دونك دولة
الكرامة
حزينة مذ غابرتها حتى جاءنا الخبر
يفقد السلاح مقاومة والحكم مقامه
فاخفق في العلا والناس تنتظر
حتى يعود العقل رشيداً وتعود
الإمامة
الزعامة صدق وعلم وليست بمن
حضوروا
الأصل والفرع حميد وليس العلم مالا
ولا جاهها وليس العلم في العمامة
صباح الخير والأناور للعلم... والف
سلام مع ألف سلامة

معايدات

● قبل الفين وأربعة عشر سنة، صار للبشرية مخلص هو عيسى بن مريم، مداوي الأمراض في الأجساد والقلوب. من رفعت قامته المقدّسة على الصليب تعذب وهي تبذل دمها والمها بوحي من خالق الجبار، لتقدّم أمثلة كزرها الإمام الحسين بعد سبعمئة سنة، كيف تنزاح الجبان ولا تنزاح عن كلمة الحقّ الرجال، ليأتي زمان يحدثنا فيه بعض من لبسوا لحي أبي جهل وأبي لهب، يبشروننا بقطع الرؤوس وذبح العروس ورائحة التيوس، ويقولون إنّ الله يشرنا أن الجنة لا يدخلها إلا من قال أن محمداً رسول الله، وإنّ النار لمن عاداهم، وإنّ بين أتباع دين محمد أهل بيته الذين ذكروا في الصلاة عليه ليسوا أهل بيته، بل هم لأنهم الأقرب إليه بين أتباعه، يعدّ فطره في الجنة وينتظر انتحاربيهم على الفطور. وأنّ بين أتباع مذاهبه من المسلمين من سرعت لهم نار جهنم، لأنهم رفضوا بيعة يزيد أو أبي بكر البغدادي أو أيمن الظواهري. بينما يخبرنا المطران جورج خضر أنّ في مسيحية هذا الشرق كثير من الإسلام، وفي إسلامه مسلميه بعض من المسيحية. ويأتي المطران غريغوار حداد ليقول إنّ الإنسان هو تجسد الله في الأرض، ومن قارب فيه الإنسانية بلغ مرتبة الرضى الإلهي، وصار رفيق محمد والمسيح، ومن صمت عن ظلم أو ذل لمخلوق من مخلوقات الله ولو كانت تلك التي حبست قفطها وتحدّث عنها رسول الله، فقد أغضب الله واستحقّ ناره... إذا كان لا بدّ من الاختيار وثبت أنّ المطرانين جورج خضر وغريغوار حداد أي جهنم، وأبا بكر البغدادي وي زيد وكثرة من الذين قالوا أنّ محمداً رسول الله على طريقة أبي سفيان هم سكان الجنة، فأنا أفضل جهنم مع جورج خضر وغريغوار حداد على جنة أبي سفيان والبغدادي... ميلاد مجيد وكل سنة وأنتم بالف خير وسورية بخير ومقاومتنا بخير.

● كل سنة وأنتم بخير بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف... فمحمد خير من أخرج للناس من بين الجنة والناس... تبادل التهاني في مولده تكريم لكل معاني الخير والرحمة والحبّ والجمال... مشكلة المسلمين أنّ تصفهم يحتفلون بعيد نبيهم كرهاً بالنصف الآخر... ونصف يقولون آل البيت وينسون أنهم آل بيت النبي، ونصف يحتفلون بأعياد ميلاد زعماء وقادة قد يستحقّون أو لا يستحقّون، طلباً لمصلحة أو خوفاً من مظلمة... ونصفهم يحتفلون بأعياد ميلاد ترفاً وتسليه بلا معنى كاحتفالهم بعيد العشاق يوم ميلاد القديس أوغسطين، ليس حبّاً بالحبّ، بل بآته التسلية. وربما أكثرهم يحتفلون بعيد ميلاد السيد المسيح حبّاً بمثله لا حباً به وبآته المقدّسة، وألا لا احتفلوا بعيد نبيهم مثل عيد ميلاده. ويحتفلون برأس السنة الميلادية وينسون رأس السنة الهجرية كعيد، لأنهم يحتفلون بكعيد العيد لا بمعناه... لهذا، حال المسلمين دون سواهم خمسة أتعاف، لا نصفين فقط.

قالت له

فساتيني ليست أعلى منك

قالت له: لأنك تصمّم فساتيني لم أعد أعرف ما إذا كنت أحبك لأنني أحبّك، أم أحبّك لأنني أحببها. فقد مر شهر لم تصنع لي جديداً، فأحسست بالملل. وفي الشهر الماضي أحببتك مرتين، وكان لي منك تصميمان، فهل تخبريني؟

قال لها: كما شرعك وحلاقتك، وصورك والمصورّ، الست تتفقدين الفعل أكثر ممّا تتفقدين الفاعل؟ وبينما فساتينك عندي أدوات للتعبير، هي عنك تقرير مصير، فيوم أهدم المقصّ وأترجّل من ساحتي، سأصير بعضاً من ذاكرك الجميلة الثائبة المعاني، وأنت نفسك لن تعرفي وصف الحال، وتتساءلين لماذا لم تبقِ إلا الذكريات؟. إنّها المرأة والفسان حكاية البشرية منذ الأزل، وأمسك فساتيناً جديداً بين يديه، وتاولها للقياس وقال: هذا حبّ جديد كموثدة تلثم الحطب، تلثم المرأة فساتينها ولو من خشب... المرأة إذا أحبّت هجرت النوم وليست الجنون لتلاقي حبيبها، وإذا أحببت النوم والفساتين في مواعيده وهجرتهم في غيابه كان ملك ضياع في البوصلة حتى يجيئ الحب، فيضيع وقت السهر حتى الصباح في أنشيد الغزل، ولو في غياب الحبيب، فهل مر عليك الموسم؟

قالت له: مرّ قليلاً في مرافقة قديمة وأنطوى، لكنني معك الحبّ الناضج والعاقل. فقال لها: عندما يصير الحب عاقلاً يكون قد مات، لا ترين جنون الفستان؟



2014/12/26

صباح ضوء ووفاء

قال الصباح: عندما تحتفلون بقدمي تذكروا الضوء الذي بقوّته أمنّكم فرحتي، ولن يرضي غروري مديحي بالقول إنني من منحه القيمة، وأنه قبل إطلالتي كان تفاعه، ولولا نعمة وجودي كان لقاؤه بالليل استهتاراً. فكل الغزل بجمال إطلالتي لا يلغي حقيقة ما أعلم أنّ الضوء نسج خيوط متعبة، أقطف بريقها عندما تجهز فأطّل عليكم لتفرحوا. ويبقى هو في الظل وأنتعم بجميل كلامكم. وأحياناً في ثيابها نيل من مهابته، وتظنير لثوبي بألوانه. ولو كنت الليل ربما طربت لكلامكم، ولهذا اختارني الضوء عنواناً لحضوره لأن الوفاء سمة الصباح، والوفاء في سرتنا أهم من الوفاء في العلن، والوفاء في بسمتنا المنصفة أعمق من الوفاء بإعلان الولاة، ومضى الصباح يقبل جبين الضوء قائلاً: لا تحزن، فالناس يتهجّون لما يرضي الاعبيهم الصغيرة، ويظنونني منهم لأنهم مستحجلون على الشعور بالرضا السهل، بينما أنالاعب الزمان فلا عجلة، ورفقة عمرنا تطوي الكلام العابر، مثال الوفاء في السرّ وقد صار في العلن، ما قاله سيد المقاومة يوم قالوا لولا تضحيات حزب الله لا نهارت سورية، فبدلاً من أن يرضي غروره الكلام، حزن حزناً شديداً ورأها لأساة لشراكة الدم. فهبّ يقول لولا الجيش السوري ما كان للمقاومة نصر في الماضي، وأما انتصارات اليوم فهي من صنع بطولاته وشهادته وما نحن إلا البحصة التي تسند الخابية. الله ما أجمل حبّ الصباح للضوء وما أجمل الولاة!

2014/12/30

صباح ما قبل نهاية السنة

صباح ما قبل نهاية السنة بيومين، كصباح من سيسافر بعد يومين. الانتقال عبر الزمان والمكان خدعة بصرية.

قال الصباح: الإنسان كائن غريب لا يعجبه العجب. فعندما يكون في أسوأ احواله ويتوقّع حدثاً سعيداً، يخيم الحزن عليه مع الأمل. وعندما يكون في أسعد احواله يختم عليه القلق مع الفرح. والممسكون بإنجازاتهم بأيديهم وحدهم لا يتراجحون بين الكسل والنشاط وبين الفرح والحزن والقلق والخوف. ماضون بإقدام ثابتة يصنعون فرحهم بفرح الآخرين. وينسون الأهم بالنظر والتضامن مع آلام الآخرين ويجدون دائماً من يستوعون له فرحاً فيفرحون. كما يجدون دائماً امامهم وحولهم الماً يصغر أمامه الألم الذي به يشعرون.

2015/1/3

صباح ياسمين الأسد وزنايق نصر الله

في الصباحات الباردة، عطر الزنبق أجمل العطور. خلق الياسمين للصباحات الدافئة. قال الصباح: الزنبقة ياسمينية البرد تبني بيوتها كجابر الجعدن، مقابل بيوت الريف التي يبنيها الياسمين. أما الزهرة فواحدة. يتغير البناء ويبقى القلب. والعطر من القلب يفوح. الفارق فقط أنّ الزنبقة ياسمينية مستعدة ليطل رأسها من بين الثلوج برمح، وبناء أبراج تجهرت بها لهذه المناسبة.

قال الياسمين: أنا زنبقة أيام الدفء اقتشر المدى وأمدّ قروعي وأنشر عطري وأنشر زهوري كحبال غسيل الفلاحين وسكان الأحياء القديمة، لا تهمني غزوات الريح، فقد تحملت استيعابها، ولا خماسين الحزّ فقد علمتها كيف تحمل عطري. والغزوات كلها عابرة على ترابي. الزمان لعبتي والمكان لعبة شقيقتي الزنبقة، تتأولنا أنوارنا فضاء بنا المدارس والحسودن، وقالوا يتنافس الزنبق والياسمين وما علموا أنّها لعبة النصر بين الشريكين ياسمين الأسد وزنايق نصر الله... نصر مبین بين زنبق وياسمين.

صباح الياسمين والشوك

2015/1/4

قال الصباح لوردة تتفتّح برامعها: سمعتك تعاتبين حبيبيك وتهتميهن بالبخل مشفوعة بأداة نسوقها في الغضب. فخرجت منّا أحكام قاسية لكننا تخرج بذاتها لا سواها، لأنّها تستطبن دواخلنا. فلما تقولين بخيل ولا تقولين عنيد، فقد اخترت صفة وموصوفاً، وبينهما أفعال. ولما تصفيين، فأنت لم تسقني من أيام ليلك يصير الحكم أعمق في وجدانك النائم الذي استفاق. ولما تهتميه بالانكار وتصفيين مبدئية التزامك ولا أخلاقية تعامله مع ورود غيرك في الحديقة، ليس كما لو تهتمت بالجفاء والسفوسة وهي صفات تصلح للغضب.

لكن ما حضر كان قد حفر في نفسك عميقاً. ولما تستدلين عليه بواقعة صار جزءاً من رأي لا يمحوه التجامل

وكونه في حال الغضب. فانتبهتي.

قال الصباح للوردة: ما هي الحياة إلا كلام، وأخطر الكلام ما يقال في الغضب، وأخطر أخطره أحكام مشفوعة بأداة نسوقها في الغضب.

وعن هذه الحالة قال الإمام علي: ما أضر المرء شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه وفتلات اللسان في حال الغضب. فما في الدواخل لو تُخرجه في العتاب تكون أصفى وأحرص من أن نقيحه بداعي التسامح. فيصدر أحكاماً قاسية في فلتات اللسان في الغضب.

أغلقت الوردة أوراقها لخلوة الصباح تراجع نفسها خجلاً، ولم تواصل عنادها تفسيراً وتبريراً. وقالت لصباح: أراك غداً، لكن قل له إنني أحبه لكنني أظلم من شدة الحبّ وسرعة الغضب.

حار الصباح بقطرة ندى واحدة في كفه لمن يهديها، فرماها إلى أعلى كي لا يميّز بين الورد، لكننا اخترت الياسمين.

قال الصباح: يتميز الياسمين لأنّه في العتاب بلا شوك لا يجرح، ولا يستخدم الماء لتكبر أوراقه بل ليزيد فوح عطره.

لما سئل الصباح عن غضب الياسمين قال: الياسمين يغضب نادراً لكنه إن غضب أقلّ أوراقه وحجب عطره، وكان العقاب جفاف الروح وهو أشدّ أنواع العقاب.

صباح اللفهة وسمة الدخول

تفتّد الصباح عدته اليومية: الضوء والندى والقهوة والياسمين وفيروز، واستعدّ للانطلاق. وتوقف فجأة وسأل: أين اللفهة؟ فمن دونها لا طعم للصباح، كل القيام تخلعهم من دفة الفراش لهفة يفتقدوها النيام. إن غابت صار الفضل للنيام على القيام لأنهم يسكبون نومهم. فأطالت اللفهة من شقّ يفصل بين الضوء والياسمين وقالت: أنا هنا اسمي اليوم «سمة الدخول» إلى الصباح. شدّها الصباح من شعرها وقال اسمك الجميل لا يبذل بالأسماء القبيحة... ومضى.

قال الصباح: ضباب وسحاب وبرد ومطر لكن لا وجود للعاصفة. وكثرة التبشير بالعاصفة صار الناس إذا اهتزت أوراق ياسمينية الدار قالوا بدأت العاصفة. فخذوا قهوتكم يهدوء ولا تشاركوا في الإضاءة. وحدهم الذين يريدون سبباً للكسل سيقولون عاصفة... ومضى.

سال الصباح عن النيام فوجدهم صنفاً نام باكراً للعب أو عادة أو كسل أو مرض، وصنفاً تتبدّل موسام نومه مرّات يبقى للفجر حتى تصحو العاصفير، ومرّات ينام مع الدجاج. فقال: هؤلاء تحرّكهم اللفهة مع نجمة، فمتى كانت نجمتهم تنام باكراً تبعوها، ومتى كانوا يواعدون نجمة الصباح انظروها. وفي المرتين لهفتهم في السرّ لا في العلن. وعذره مرّة بالنعاس ومرّة بالقلق. فدعهم طالما في حياتهم لهفة، فهم ينتمون إلى بعض من الصباح.

صدّق الصباح أنّ اللفهة سمة دخول إلى كثير من الأشياء في الحياة. لكنه يكره التسمية.

